

ورقة عمل

موقف إيران و"محور الممانعة" تجاه المقاومة الفلسطينية

أ. د. طلال عتريسي



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

موقف إيران و"محور الممانعة" تجاه المقاومة الفلسطينية

أ. د. طلال عتريسي

قدم أ. د. طلال عتريسي هذه الورقة في مؤتمر "مستقبل المقاومة الفلسطينية في ضوء الحرب على قطاع غزة في صيف 2014"، الذي أقامه مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات في بيروت في 27/11/2014.

تمّ رفع هذه النسخة الإلكترونية على موقع الزيتونة في آذار/ مارس 2015. الآراء الواردة في هذه الدراسة، لا تعبّر بالضرورة عن وجهة نظر مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات.

موقف إيران و"محور الممانعة" تجاه المقاومة الفلسطينية

أ. د. طلال عتريسي¹

تمهيد:

لم تتجح "إسرائيل" في العدوان الذي شنته على قطاع غزة في 2014/7/7 لا في القضاء على حركة حماس ولا على فصائل المقاومة الأخرى. ولم تتجح حتى في تحقيق أيّ من الأهداف التي وضعتها لنفسها في أثناء المواجهات، مثل تدمير الأنفاق أو الحد من إطلاق الصواريخ... . لذا تعدّ هذه الحرب فشلاً واضحاً من منظور الأهداف وموازن القوى بين الطرفين حماس وقوى المقاومة الفلسطينية من جهة، والجيش الإسرائيلي من الجهة المقابلة. وما فاقم من هذا الفشل العسكري الإسرائيلي أن الجيش اضطر لأن يستمر في هذه الحرب 51 يوماً دون توقف عمليات قصف وتدمير معظم البنى التحتية في القطاع، والمؤسسات والوحدات والأبراج السكنية، وفي ظلّ استهداف القصف المدفعي والطيران الحربي المدنيين الذين شكلوا النسبة الأكبر من ضحايا هذا العدوان.

أولاً: العدوان فرصة "إسرائيل" السانحة:

لقد حصل العدوان في ظلّ ظروف صعبة ومعقدة وغير مؤاتية بالنسبة إلى المقاومة الفلسطينية عموماً وبالنسبة إلى حركة حماس خصوصاً. وقد اعتقد "الإسرائيلي" أن هذه الظروف الصعبة هي فرصة ثمينة لشن العدوان وإضعاف حركة حماس أو القضاء عليها. فعلاقة حماس مع مصر ليست علاقة متدهورة وسيئة فحسب، بل تتعرض حماس لحملة تحريض إعلامية رسمية واسعة ضدها تتهمها بالإرهاب وبتخريب الأمن في مصر. وبسبب هذه التهمة تمّ تدمير القسم الأكبر من الأنفاق التي كانت رئة القطاع الاقتصادية في إدخال المواد التموينية والغذائية ومواد البناء المختلفة، وكانت في الوقت نفسه رئة تهريب السلاح للمقاومة.

وعلاقة حماس مع المملكة السعودية أيضاً سيئة ومتدهورة، ويعود السبب إلى اتهام الإخوان بتأسيس خلايا في داخل المملكة للانقلاب على النظام، وإلى الموقف المشترك السعودي المصري من الإخوان ومن حركة حماس، باعتبارهما طرفاً واحداً له أهداف واحدة وسياسات واحدة. لقد كان

¹ عميد معهد الدكتوراه والآداب والعلوم الإنسانية في الجامعة اللبنانية، حائز على ليسانس في علم النفس من الجامعة اللبنانية، ودكتوراه في علم الاجتماع التربوي من جامعة السوربون في باريس.

الإخوان في موقع الملاحقة في مصر، وقد زجّ بهم في السجون، أما في المملكة فقد وضعوا على لائحة الإرهاب؛ وهذا يعني أن حماس قد تأثرت سلباً بما جرى للإخوان، وخصوصاً أنها فقدت أحد أهم الأوراق الإقليمية التي راھنت عليها في مصر بعدما أسقط نظام الإخوان.

أما على المستوى العربي فلم تكن الأوضاع أفضل حالاً. فالانقسامات في داخل كل بلد، وفيما بين الدول مشتتة ومتواصلة. والسمة العامة للوضع العربي هي عدم الاستقرار السياسي من جهة، والتوترات الأمنية والاجتماعية من جهة ثانية. كما ترافقت هذه الانقسامات مع حالة غير مسبوقة من العنف الذي تفاوتت قسوته بين بلد وآخر من سورية، والعراق، وليبيا، إلى تونس ومصر... فلا حكومات مستقرة، وصراعات وتنافس دموي، وتفجيرات متتالية، وانقسام سياسي واجتماعي ومذهبي يعصف بمعظم بلدان المنطقة. وكان من الطبيعي في ظلّ أوضاع متفجرة من هذا النوع وفي ظلّ حالة من عدم الاستقرار ومن الارتباك بعد الربيع العربي، أن يؤدي ذلك كله إلى تراجع الاهتمام بقضية فلسطين. بحيث رأت كل القوى الإسلامية وغير الإسلامية التي برزت بعد الربيع العربي، أو وصلت إلى السلطة، أن أولوياتها هي ترتيب البيت الداخلي، مثل إجراء الانتخابات وتعديل الدستور ووضع البرامج المناسبة لحل الأزمات المزمنة الاقتصادية والاجتماعية، قبل أي أولوية خارجية بما فيها قضية فلسطين... .

في ظلّ علاقات حماس السيئة والصعبة مع كل من مصر والمملكة السعودية، وبرود علاقتها مع إيران أيضاً، وبعدها فقدت موقعها في سورية وغادرت دمشق، ومع فشل التفاهم الفلسطيني - الفلسطيني... رأت "إسرائيل" أن اللحظة باتت أكثر من مؤاتية بعد مقتل ثلاثة مستوطنين، لشن حرب على غزة تنهي معها حركة حماس (المعزولة) وتقضي على المقاومة في القطاع. كما اعتقدت "إسرائيل" أن هذه الأوضاع العربية هي فرصة سانحة لتحقيق هذا الهدف، طالما أن أنظار الشعوب العربية تتجه إلى تلك الانقسامات ومشغولة بتلك الخلافات، حتى أن إسحق هرتسوغ رئيس حزب العمل الإسرائيلي تحدث ليديعوت أchronوت في 2014/8/15: "عن حلف في المنطقة يشمل مصر والأردن والسلطة الفلسطينية والسعودية ودول الخليج...". ما يعكس تقدير الإسرائيلي لطبيعة التحولات التي تحصل من حول فلسطين، وكذلك للتحالفات التي يمكن أن تضيق الخناق على حماس وعلى المقاومة في فلسطين أو في المنطقة عموماً، لأن الحلف المفترض الذي يتحدث عنه هرتسوغ أو يطمح إليه هو بين أطراف لا علاقة لها بمشروع المقاومة، بل تقف على النقيض من هذا المشروع. ولو لم يكن هذا هو موقفها من المقاومة لما أشار هرتسوغ ولو على سبيل التمني، إلى مثل هذا الحلف بين "إسرائيل" وبين أطراف فلسطينية وعربية. كما عبّر عن هذه الرؤية نفسها للواقع المحيط بحركة حماس بعد



يؤمن على اندلاع الحرب على غزة، عضو المجلس الوزاري المصغر للشؤون الأمنية والسياسية يائير لبيد بقوله: "إن حماس أضعف من أي وقت مضى، وإنه يجب بحث كافة السيناريوهات المحتملة في حال سقوطها ومن سيعبئ الفراغ الذي سيحدثه تطور كهذا..."². حتى أن شيمون بيريز قال بعد نحو أسبوعين على العدوان: "لم يعد هناك عالم عربي معاد لإسرائيل".

عندما شنت "إسرائيل" الحرب في 2014/7/7 كانت تترك تماماً تلك المعادلة الإقليمية، وطبيعة الواقع العربي وعلاقات حماس الإقليمية. ومع ذلك، كانت ذريعة الحرب هي الانتقام لمقتل ثلاثة مستوطنين، ثم تطورت لتجعل هدم الأنفاق هدفاً لها، وانتهت بضرورة ما سمته "كيّ الوعي". والمقصود بهذا "الكيّ" تكرار منهجية التدمير الشامل وارتكاب المجازر بحق المدنيين (نحو عشرة آلاف جريح، و2,174 شهيداً....)، وأن "يعي" قادة المقاومة والجمهور المؤيد لهم حجم الخسائر التي ستلحق بهم جميعاً بسبب هذه المقاومة إذا عادوا إليها مرة ثانية. أي عليهم أن يدركوا تماماً الثمن الباهظ الذي سيدفعوه من أرواحهم وأرزاقهم والذي سيفوق بكثير، وإلى الحد الذي لا يحتمل، أي مكسب يمكن أن تحققه المقاومة... .

مهما قيل في أهداف الحرب التي تحقق بعضها، أو لم يتحقق منها أي شيء، بحسب وجهات النظر الإسرائيلية وبغض النظر عن البيئة الإقليمية التي حصل فيها هذا العدوان، فإن ما لا يمكن تجاهله أن ما جرى هو جولة في إطار الصراع المفتوح مع الاحتلال. أي أنه ليس نهاية الحرب، وليس نهاية الأهداف مهما كان نوعها، أو مستوى ما تحقق منها. والمقصود من التأكيد على أنها جولة، أنها تأتي بعد جولات عدوان سابقة حصلت على قطاع غزة نفسه في السنوات 2008 و2009 و2012، من أجل القضاء على المقاومة. وهي جولة استناداً إلى الحروب المفتوحة ضد الاحتلال منذ سنة 1948... وعندما نقول إنها جولة فللتأكيد على أنها حلقة في سلسلة من العدوان ومن المقاومة، وأن جولات أخرى من المواجهة ستأتي ويفترض الاستعداد لها في الأيام القادمة.

إذا انتهت هذه الجولة من الحرب والعدوان بفشل إسرائيلي واضح، وبانتصار فلسطيني مقابل؛ حتى أن وزير السياحة الإسرائيلي عوزي لاندوا، وبعد نحو شهر على الحرب، رأى "أن العملية العسكرية على غزة لم تحقق حتى هدفاً واحداً"³... لأن القيادة الإسرائيلية لم تكن قد حددت أهدافها بوضوح من العدوان؛ ما دعا عضو المجلس الوزاري المصغر يائير لبيد إلى القول بعد أيام على

² صحيفة المستقبل، بيروت، 2014/7/9.

³ صحيفة رأي اليوم الإلكترونية، لندن، 2014/8/1.

العدوان: "على إسرائيل أن تضع لنفسها أهدافاً استراتيجية بعيدة المدى، وهي نزع السلاح كلياً من قطاع غزة إضافة إلى منع الأنفاق..."⁴.

لقد كتب الكثير عن معجزة الصمود الفلسطيني على الرغم من حجم التدمير الهائل الذي تعرضت له غزة، ما اضطر حتى الأوساط العسكرية والسياسية البحثية والصحفية الإسرائيلية إلى الاعتراف بأن جيشهم عجز عن تحقيق الأهداف.

لكن في نهاية هذه الجولة، وكما يجري في كل المواجهات والحروب المماثلة، يبدأ حساب الأرباح والخسائر وحساب التحالفات ومصادر القوة ونقاط الضعف التي واكبت جولة القتال التي مرت، وكيف سيتم التعامل مع هذه النقاط والمصادر في الجولة المقبلة. وما يعيننا في هذه المسألة هو دور قوى الممانعة في هذه الجولة وما يمكن أن يقوم به هذا المحور في الجولة المقبلة، خصوصاً وأن الإسرائيلي يطمح إلى تشكيل محور عربي يتعاون معه، ويتحدث من جانب آخر عن "عدم وجود عالم عربي معاد لإسرائيل". فكيف يفترض، والحال هذه، أن تكون علاقة أطراف هذا المحور فيما بينها بعدما كانت هذه العلاقة على غير ما يرام مع حركة حماس في هذه الجولة الحالية من الحرب ومن العدوان على قطاع غزة.

إن أيّ تأمل فيما جرى بعد الربيع العربي منذ سنة 2011 سوف يبين لنا أن واقع محور الممانعة لم يعد كما كان في السابق، فقد تصدع النظام في سورية وفقد الكثير من أوراق قوته الإقليمية وانصرف إلى معالجة أزمته الداخلية التي تحولت إلى أولوية قصوى، كما خرجت حماس من سورية وانقطعت علاقتها مع النظام، وتراجعت علاقتها مع إيران على قاعدة هذا الخلاف حول الموقف من سورية وما يجري فيها... أي أنه بات لمحور الممانعة سياسات متباينة وعلنية، وليس سياسة واحدة تجاه ما يجري في المنطقة وتجاه أطرافه نفسها. كما باتت حماس أكثر قرباً من النظام المصري بعد حكم الإخوان، بحيث تحولت مصر بموقعها وأهميتها بديلاً محتملاً أو مفترضاً لعلاقات حماس السابقة مع سورية ومع إيران.

وقد رغبت الحركة في نقل مركز ثقلها القيادي من سورية إلى مصر.. إذ كان وصول حركة الإخوان المسلمين إلى الحكم المؤشر الأهم إلى إمكان حدوث تلك الخطوة. كما كان المؤشر الآخر هو قرب مصر جغرافياً من غزة، أهم مراكز قوة الحركة في العالم، الأمر الذي يسهل التواصل بين الجناحين السياسيين الداخلي والخارجي للحركة، كما يفيد جناحها

⁴ صحيفة الغد، عمان، 2014/7/21.



العسكري من حيث سهولة تنقل أفرادهِ إلى العالم. لكن قراءة حماس السياسية لم تكن قادرة على تخيل عزل الإخوان عن السلطة وعودة المؤسسة العسكرية إلى الحكم...⁵.

ومع هذا التقدير لحركة حماس الذي اختلفت فيه مع تقدير إيران للوضع في سورية، باتت خيارات أطراف محور الممانعة أقل تماسكاً تجاه تحولات الربيع العربي، وخصوصاً تجاه ما جرى في سورية ومصر... .

في مقابل الاختلاف بين أطراف هذا المحور حول تحولات المنطقة بعد الربيع العربي تشكل نواة "محور" آخر بين تركيا وقطر وحركة حماس. لكن أهداف التقارب بين أطراف هذا المحور لم تكن أولوية المقاومة في فلسطين. ولم يقدم هذا المحور نفسه بديلاً عن محور الممانعة في التعامل مع حماس أو مع المقاومة، أو حتى في التعامل مع مشاريع تسوية القضية الفلسطينية، بل كان أطراف هذا المحور أيضاً متناقضين أشد التناقض تجاه قضية المقاومة. ففي الوقت الذي تؤيد فيه قطر وتركيا التسوية والتفاوض مع "إسرائيل" وهي في هذه المواقف أقرب إلى ما يسمى محور الاعتدال (السلطة الفلسطينية، والأردن، ومصر، والسعودية...)، أي المحور الذي يريد رئيس حزب العمل الإسرائيلي إسحق هرتسوغ التحالف معه لتضييق الخناق على حماس وعلى المقاومة...، كانت حماس في موقع آخر الذي هو موقع المقاومة. ومن المعلوم أن حماس ومن هذا الموقع، كانت على خلاف شديد مع السلطة الفلسطينية بسبب أدائها في المفاوضات وفي مشاريع التسوية، وبسبب موقفها السلبي من المقاومة. هذا في حين تحظى هذه السلطة وخياراتها الاستراتيجية بالدعم والتأييد الكاملين من تركيا ومن قطر.

لقد اجتمع هذا المحور في الواقع على قضيتين محددتين:

• دعم الإخوان المسلمين.

• إسقاط النظام في سورية.

أي أن المقاومة في فلسطين أو في المنطقة عموماً لم تكن ضمن أولويات هذا المحور ولا حتى ضمن أهدافه. فالخيارات الاستراتيجية لتركيا وقطر ليست خيار المقاومة. في حين أن دعم الإخوان وإسقاط النظام في سورية كانا أولوية واضحة للدولتين، لحسابات لها علاقة بالأدوار والطموحات الإقليمية، وبالخلافات مع دول إقليمية أخرى مثل الخلاف القطري - السعودي والخلاف التركي مع

⁵ رائد اشنيور، التقارب بين حماس وإيران بين الضرورة والخيار، سلسلة القضية الفلسطينية آفاق المستقبل (5) (بيروت: مؤسسة

الدراسات الفلسطينية، ورام الله: معهد إبراهيم أبو لغد للدراسات الدولية، جامعة بيرزيت، 2014)، ص 30-31، انظر:

<http://www.palestine-studies.org/sites/default/files/TOC%20AI-Taqarob%20Bayna%20Hamasa%20wa%20Iran%20-%20Beirut.pdf>

السعودية ومصر... . في المقابل، كان الأمر على عكس ذلك تماماً مع "محور الممانعة" الذي اختلفت أطرافه مع حماس حول قضيتي الإخوان والنظام في سورية، في حين لم يتبدل موقف سورية وإيران من المقاومة على المستوى الاستراتيجي. علماً بأن إيران كانت من أول من أيد نظام الإخوان في مصر وأطلق "مرشد الثورة" على ما حصل فيها "الصحة الإسلامية"، كما تأخرت إيران وترددت كثيراً في الاعتراف بالنظام الجديد في مصر... لكن في واقع الأمر لم يمس هذا الاختلاف حول النظام في سورية أو حول الإخوان اتجاهات هذا المحور من قضية فلسطين ومن المقاومة، ومن دورها وأولويتها في هذه القضية.

ثانياً: قدرة الردع الإسرائيلية ومحور الممانعة:

أسهم الفشل الإسرائيلي في تحقيق أهداف العدوان على غزة في تموز/ يوليو 2014 في مزيد من تراجع قدرة الردع الإسرائيلية. هذا التراجع بات موضوعاً علنياً للنقاش والقلق في الداخل الإسرائيلي. لكن ما هو شديد الأهمية هنا أن هذا التراجع هو حصيلة تراكم المواجهات والإنجازات في الجولات السابقة التي خاضتها المقاومة في لبنان وفلسطين ضدّ الاعتداءات الإسرائيلية. أي أن هذا التراجع في القدرة الإسرائيلية ليس نتاج جولة واحدة من الحرب، بل هو نتاج فشل متكرر وعجز متكرر عن ترميم هذه القدرة. وما يقوله الإسرائيليون بهذا الصدد يؤكد على هذه العلاقة المترابطة والمتينة بين انتصار أو صمود أيّ طرف من أطراف محور المقاومة وبين تأثيراته السلبية على قدرة الردع الإسرائيلية... .

ففي تقييم لـ"تقرير فينوجراد - انعكاسات وأبعاد" نشره "المشهد الإسرائيلي"، بمناسبة مرور عام على بدء الحرب الإسرائيلية على لبنان (12 تموز/ يوليو 2006)، بعنوان "إخفاقات حرب لبنان الثانية أكبر بكثير من إنجازاتها"، وفي وقائع يوم دراسي عقد في "معهد دراسات الأمن القومي" في جامعة تل أبيب... أشار زئيف شيف في سياق مداخلته إلى عدة مسائل قال إنها لم تتل بعد اهتماماً كافياً، ومنها على سبيل المثال تساؤله عن "تأثير المواجهة مع فصائل المقاومة في المناطق الفلسطينية على القدرة القتالية القاصرة التي أظهرها الجيش الإسرائيلي (خلال حرب لبنان الثانية)، وما هي الأضرار التي لحقت بأساليب القتال جراء انشغال الجيش في مهام الأمن الروتينية في المناطق الفلسطينية؟".

في حين أكد الجنرال احتياط أوري ساغي أن العيوب والثغرات التي تعتري عملية اتخاذ القرارات الإسرائيلية لم تبدأ في حرب لبنان الثانية، وأضاف أن تقرير لجنة فينوجراد "كشف مرة أخرى فجوة مقلقة بين الأهداف الإسرائيلية وبين قدرة الجيش على تحقيقها". كما حذر الجنرال ساغي مما وصفه



بـ"التوقعات القائمة" بشأن "ماهية طابع الحرب التقليدية —المحتملة— مع سورية"، وقال جازماً إن "إسرائيل" لن تتمكن (إذا ما نشبت حرب جديدة مع سورية) من إحراز "حسم كلاسيكي بالصورة التي يذكرها الجميع"...⁶. ما يعني أن الإسرائيلي في بحثه عن أسباب تراجع قدرة الردع يربط بين ما يجري في لبنان وفلسطين وما يمكن أن يجري في أيّ حرب محتملة مع سورية.

وفي نموذج آخر على هذا الربط بين قتال الفلسطينيين وقتال حزب الله وانعكاس ذلك على القدرة الإسرائيلية، كتب الرئيس السابق لمجلس الأمن القومي في "إسرائيل"، الجنرال غيورا آيلاند، في صحيفة يديعوت أحرونوت: يجب إخافة حزب الله ولبنان دائماً... كي يرتدع حزب الله عن المبادرة إلى ضرب "إسرائيل"... . آيلاند، الذي أدخل أيضاً حركة حماس في قطاع غزة ضمن دائرة التهديدات المحدقة بـ"إسرائيل"، نصح بضرورة إدراج الساحتين على جدول الأعمال العام في الدولة العبرية، لأن من شأن هذا التهديد (حزب الله) أن يوجد مفاجآت أمنية، و"ذلك فضلاً عن المتابعة الاستخبارية، وأمور أخرى غير استخبارية، يجدر المبادرة إليها وتفعيلها في الساحتين"، لبنان وغزة⁷.

وفي مقال بعنوان "إسرائيل فقدت قدرة الردع" كتب معلق الأخبار في القناة الثانية الإسرائيلية أمنون أبراموفيتش في صحيفة يديعوت أحرونوت، أن حماس ما زالت مستمرة، بينما يخزن حزب الله اللبناني عشرات الآلاف من الصواريخ في انتظار التوقيت المناسب لإطلاقهم، وهي صواريخ ثقيلة وبعيدة المدى" مقارنة بصواريخ "بدائية تصنع مجاناً تقريباً في ورش اللحام بقطاع غزة"... وأكد الكاتب أن الحرب الحالية على غزة "لا تعد شيئاً بالمقارنة بما هو متوقع في حالة نشوب حرب مع حزب الله، لا سمح الله"، بحسب تعبيره⁸.

إذاً ينظر الخبراء والقادة الأمنيون الإسرائيليون في كل الاتجاهات، يفكرون في حزب الله وهم يشنون عدوانهم على غزة، ويتطلعون إلى تأثير فشلهم في لبنان على غزة وعلى سورية، بحيث يتم الربط بين ما يجري في كل هذه الاتجاهات وبين تراجع قدرة الردع الإسرائيلية. حتى بات الهاجس الذي يسيطر على عقل قادة "إسرائيل" العسكريين هو استرجاع هذه القدرة التي تآكلت في العقدين الماضيين بشكل لم يعد من الممكن إخفاؤه أو تجاهله. واستعادة قدرة الردع تعني في المقابل منع محور المقاومة من تعزيز دوره وقدراته وتحيين الفرص لإيقاع الهزيمة به. لذا إن أيّ تفكير في

⁶ وقائع يوم دراسي حول "تقرير فينوغراند - انعكاسات وأبعاد"، المشهد الإسرائيلي، المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية "مدار"، 10/7/2007، ص 5، انظر: http://www.madarcenter.org/mash_had_pdf/p5-10-07-07.pdf

⁷ صحيفة الأخبار، بيروت، 2014/12/19.

⁸ صحيفة يديعوت أحرونوت، 2014/8/15.

مستقبل المواجهة مع الاحتلال (وليس التسوية أو التفاوض) لا يمكن أن يحصل من دون استراتيجية استعادة هذا المحور لدوره في أولوية دعم المقاومة في لبنان وفلسطين.

فكيف كانت مواقف واتجاهات أطراف هذا المحور، أي إيران وسورية وحزب الله من العدوان الذي استهدف المقاومة في غزة في تموز/ يوليو 2014؟

لقد كررت إيران وحزب الله مواقف التأييد والدعم للمقاومة، والتأكيد على أهميتها واستمرارها، وعلى اعتبارها الوسيلة الوحيدة لمواجهة الاحتلال، كما ذهبت تصريحات المرشد إلى حدّ الدعوة إلى تسليح الضفة الغربية لتوسيع دائرة المواجهة مع الاحتلال. أما المواقف السورية فقد أيدت المقاومة في غزة، إلا أنها ربطت بين ما يجري في فلسطين وما يجري في كل من سورية والعراق، كما دانّت المواقف السورية صمت الجامعة العربية غير المبرر على الجرائم التي ترتكب بحق الشعب الفلسطيني...، وميزت بين الموقف من المقاومة وبين الخلاف مع حركة حماس.

1. مواقف إيران من العدوان:

دعت إيران بلسان الرئيس روحاني "رؤساء العالم الإسلامي لاستخدام طاقاتهم إلى كسر الحصار المفروض على غزة بشكل عاجل، وإلى مساعدة الشعب الفلسطيني المظلوم والحيولة دون الاعتداءات الصهيونية، واعتبر روحاني هذا الأمر مسؤولية مشتركة تقع على عاتق المؤسسات الدولية والبلدان الحرة في العالم كافة"⁹.

واتهم المرشد أمريكا وبريطانيا بدعم "إسرائيل" لقتل أطفال قطاع غزة¹⁰. ودعا "الشعوب والدول الإسلامية أن تعود إلى نفسها، وأن تستيقظ من غفلتها إزاء الفاجعة التي تحدث في غزة"¹¹.

أما الموقف اللافت لمرشد الثورة فكان في دعوته إلى تسليح الضفة الغربية عندما طالب "الفلسطينيين الاستمرار في مقاومة إسرائيل" وتوسيع هذه المقاومة نحو الضفة الغربية المحتلة... ورأى أن "الطريقة الوحيدة لمواجهة هذا النظام الشرس (إسرائيل) هي مواصلة المقاومة والنضال المسلح"، وأن "الحل الوحيد الفعلي هو زوال إسرائيل، لكن هذا لا يعني القضاء على الشعب اليهودي في هذه المنطقة"، لأن إيران تعرض إجراء "استفتاء" يشارك فيه جميع "الناس الذين يعيشون في هذه المنطقة ومن ينتمون إليها"، وخصوصاً اللاجئين الفلسطينيين، وهكذا يمكن أن

⁹ صحيفة السفير، بيروت، 2014/7/12.

¹⁰ صحيفة الاتحاد، أبو ظبي، 2014/7/14.

¹¹ موقع فلسطين أون لاين، 2014/7/15.



"يزول هذا النظام المغتصب والدمية"¹². ودعا المرشد العالم الإسلامي إلى "تسليح" الفلسطينيين لمواجهة عملية "الإبادة" التي ترتكبها "إسرائيل" في قطاع غزة... وإن "ما يقوم به قادة النظام الصهيوني هو إبادة وكارثة تاريخية"... "على العالم بأسره، خصوصاً العالم الإسلامي، أن يسلمح الشعب الفلسطيني بقدر ما يستطيع"¹³.

من جهته، دعا البرلمان الإيراني الأمين العام للأمم المتحدة ومنظمة التعاون الإسلامي، إلى التدخل الفوري، واتخاذ الإجراءات اللازمة للحيلولة دون قتل الأبرياء العزل في غزة¹⁴، كما أعلن رئيس البرلمان علي لاريجاني "تزويد المقاتلين في غزة بتكنولوجيا تصنيع الأسلحة والصواريخ"، وقال "تتوفر اليوم لمقاتلي غزة قدرة جيدة، ويؤمنون بأنفسهم ما يحتاجون إليه من أسلحة"، وأضاف "لكنهم احتاجوا في إحدى الفترات إلى التكنولوجيا لصنع الأسلحة وقد زدناهم بها"¹⁵. وأكد لاريجاني "دعم إيران الشامل للشعب الفلسطيني خاصة المقاومة الإسلامية في مسار النضال ضدّ الكيان المحتل وتحرير كافة الأراضي الفلسطينية المحتلة من البحر إلى النهر"¹⁶.

ورأى نائب وزير الخارجية حسين أمير عبد اللهيان أن "المقاومة الفلسطينية تستطيع أن تغير المعادلة بالشكل الذي سوف يثير دهشة العالم بأسره"، وأضاف أن "إيران تدعم بكل ما أوتيت من قوة الشعب الفلسطيني المجاهد في غزة والمقاومة الفلسطينية في هذا القطاع ومستعدة لاستقبال مئات من الحالات من المصابين والجرحى الفلسطينيين"¹⁷.

تكررت هذه المواقف المؤيدة للمقاومة على لسان المسؤولين في الحرس الثوري. فقال مسؤول فيلق القدس إن "وحدتنا من أجل فلسطين تصيب الأعداء بالرعب، فالتقاتل يفرح الأعداء ويضعف الطاقات"، وأضاف "ليعلم العالم أجمع أن نزع سلاح المقاومة هرطقة باطلة ووهم... وليعلم القتلة والمرتبزة أننا لن نتوانى للحظة عن الدفاع عن المقاومة ودعمها ودعم الشعب الفلسطيني"¹⁸.

أما نائب القائد العام للحرس الثوري العميد حسين سلامي فرأى أن "جميع مناطق الكيان الصهيوني تقع في مرمى المقاومة الفلسطينية وأنها قادرة على ضرب حيفا ويصل مدى صواريخها 160 كم"،

¹² صحيفة الحياة، لندن، 2014/7/24.

¹³ الحياة، 2014/7/30.

¹⁴ صحيفة القدس العربي، لندن، 2014/7/14.

¹⁵ السفير، 2014/7/18.

¹⁶ رأي اليوم الإلكترونية، 2014/8/28.

¹⁷ الحياة، 2014/7/27.

¹⁸ السفير، 2014/7/31.

وأضاف "إن الكيان الصهيوني اختار هذا التوقيت للهجوم على غزة لأنه شعر بأن سياسات الدول العربية في المنطقة تتفق مع سياساته أكثر مما تتفق مع المقاومة... وأن سياسات كل من مصر والسعودية والأردن متطابقة مع سياسات الولايات المتحدة الأمريكية وهي متطابقة بشكل ما مع سياسة الكيان الصهيوني". وأضاف سلامي "إن المقاومة الفلسطينية جعلت شرعية الأنظمة العربية موضع تساؤل، هم يرغبون بذبح فلسطين ولبنان وسورية على يد الكيان الصهيوني كي يتمكنوا من اللعب بمفردهم في المنطقة والحفاظ على شرعيتهم"... أما "نحن فعلى العكس من بعض الدول العربية الخاضعة لأمريكا وتسعى إلى بثّ التفرقة في العالم الإسلامي، أعلننا أنه لا فرق لدينا بين شيعة وسنة، ليس في فلسطين أيّ شيعة لكن قلوبنا تنبض بالمحبة للفلسطينيين وهذا ليس مجرد إحساسات". وقال "أن دعم المقاومة الفلسطينية معنوياً وسياسياً ومادياً وأيّ دعم آخر يتخيله الأعداء هو على جدول أعمالنا بل ويتم بشكل علني، إن فلسطين قطعة من الجسد الإسلامي وسياستنا تقوم على الدفاع عن المظلومين ونحن نفتخر بهذا"¹⁹.

انتقلت المواقف الإيرانية من إعلان الدعم والتأييد في أثناء العدوان إلى إعلان التهنة بانتصار الشعب الفلسطيني والمقاومة الفلسطينية... فوجه قائد الحرس الثوري التهنة إلى خالد مشعل رئيس المكتب السياسي لحركة حماس بـ"انتصار الشعب الفلسطيني ومناضلي المقاومة الإسلامية على الكيان الصهيوني في العدوان الإسرائيلي على قطاع غزة"، الذي أرغم العدو على قبول شروط المقاومة الإسلامية في نهاية المطاف، وأظهر بأن الصمود والنضال هما السبيل الوحيد لتحرير الأراضي المحتلة وإحقاق حقوق الشعب الفلسطيني المظلوم. وقال قائد الحرس: "لا شك أن مقاومتكم هذه على مدى 51 يوماً، ستشكل نقطة بداية انهيار الكيان الإسرائيلي... و"اعلموا أننا سنبقى إلى جانبكم حتى النهاية دفاعاً عن مبادئكم وإيمانكم وعزتكم واستقلالكم حتى تحرير كامل أرضكم وإقرار سيادتكم على كامل فلسطين المحتلة"... ويجب "تعزيز القدرات التنظيمية للفصائل وتقوية بناها التحتية وقدراتها الدفاعية أكثر فأكثر... وتوسيع ذلك إلى الضفة الغربية وزيادة كثافة ومدّيات ودقة صواريخها"²⁰.

¹⁹ رأي اليوم الإلكترونية، 2014/8/10.

²⁰ وكالة قدس برس إنترناشيونال للأخبار، 2014/8/29.



2. مواقف حزب الله:

أكد حزب الله على أولوية المقاومة وعلى دورها في مواجهة الاحتلال، ودعا السيد نصر الله في يوم القدس العالمي إلى التضامن مع الشعب والمقاومة الفلسطينية في وجه العدوان الإسرائيلي، وطالب الحكومات العربية والإسلامية "بتبني خيار رفع الحصار عن غزة وحماية القيادة السياسية للمقاومة من الضغوط التي تريد وقف إطلاق النار من دون تحقيق هذا الهدف"، مطالباً بتأمين الدعم المالي والسياسي والمعنوي وصولاً إلى العسكري للمقاومة الفلسطينية، وتوجه نصر الله إلى الصهاينة بالقول: "أنتم اليوم في غزة في دائرة الفشل، في بيت العنكبوت، فلا تذهبوا إلى أكثر من ذلك إلى دائرة الانتحار والسقوط"²¹.

وأكد السيد نصر الله وقوف الحزب إلى جانب المقاومة الفلسطينية، ورأى أن "غزة انتصرت بمنطق المقاومة" وأن حزب الله لن يبخل على غزة بأي شكل من أشكال الدعم التي يستطيعها...، وأشار إلى أن:

هناك غزراً سوداء تعمل كي لا تبقى أي صلة بين أي لبناني وأي مصري وأي سوري وفلسطين... وبرغم كل ما حصل، بقيت القضية تفرض نفسها على المنطقة والعالم، لأن سوريا صمدت ولم تخضع لشروط التسوية في مدريد، وبسبب انتصار الثورة الإسلامية في إيران، وحركات المقاومة في لبنان وفلسطين، والأهم أن الشعب الفلسطيني كان عصياً على اليأس والإخضاع والاستسلام.

وأكد نصر الله أن "سوريا كانت الجدار المتين وستبقى في وجه المشروع الصهيوني، وكانت الحصن الكبير للمقاومة والقضية الفلسطينية".

وبالنسبة إلى السيد نصر الله إن "المستهدف في هذه الحرب هو سلاح المقاومة وإرادة المقاومة، وليس فقط حماس والجهاد الإسلامي، بل كل المقاومة في فلسطين، وكل نفق وكل صاروخ بل كل دم مقاوم"، مشيراً إلى أننا نجد أمامنا الفشل الإسرائيلي يقابله إنجاز المقاومة... ودعا الأمين العام لحزب الله إلى "وضع كل الحساسيات والخلافات والاختلافات حول القضايا الأخرى جانبا"، و"لنقارب جميعاً ما يحصل في غزة كمسألة شعب ومقاومة وقضية عادلة لا اختلاط فيها بين حقّ وباطل، وأشار إلى أنه "يجب التذكير بأن إيران وسورية ومعهما المقاومة في لبنان على مدى سنوات طويلة، لم يقصروا ولم يتوانوا عن دعم المقاومة الفلسطينية بكل فصائلها على كافة المستويات، وهناك اليوم من لا يقوم بأي عمل إيجابي لفلسطين سوى المزيادات [المزيادات]..."

²¹ السفير، 2014/7/26.

وأضاف "يكفي أن نقارن على مدى عقود ماذا قدم محور المقاومة من أجل فلسطين، برغم كل الأعباء والتبعات في العالم، وماذا فعل هؤلاء من أجل فلسطين؟ وماذا قدموا في كل الساحات الأخرى التي تخدم إسرائيل وتخدم هدف إسرائيل"²².

في حين رأى نائب الأمين العام لحزب الله الشيخ نعيم قاسم أن "غزة انتصرت بجميع المعايير، وإسرائيل انهزمت شرّ هزيمة، وأثبتت المقاومة مرة جديدة أنها قادرة على صنع نصرها وحماية أرضها وشعبها، لتتناغم المقاومة في فلسطين ولبنان"²³.

3. مواقف سورية:

ربط الرئيس الأسد بين إدانة العدوان وبين الهجوم على دول الخليج العربي التي عدّها "دول التخلف العربي المسؤولة عن غالبية الهزائم التاريخية التي لحقت بالعرب"... ورأى الرئيس الأسد أن تلك الدول ومعسكرها ليست سوى أنظمة استبدادية قمعية متخلفة مهمتها الرسمية تزويد القضية الفلسطينية وتنفيذ أجندة أمريكية إسرائيلية واضحة.

وأكد الأسد أن فلسطين ما زالت القضية المركزية بالنسبة الى سورية، رافضاً كل طرح لتحديد دمشق عن هذه القضية أو حتى إدارة ظهر موقفه لها. وقال إن ما يجري مترابط ولا يمكن فصل مسار ما يجري في فلسطين من عدوان على غزة عما يجري في سورية أو العراق، وأضاف: منذ احتلال فلسطين وصولاً إلى غزو العراق وتقسيم السودان، هي سلسلة متكاملة مخططها "إسرائيل" والغرب، ومنفذها كان دائماً دول القمع والاستبداد والتخلف...²⁴.

وفي تصريح لمصدر مسؤول في وزارة الخارجية السورية، تمّ الربط بين هذا العدوان وبين صمت "ما يسمى الجامعة العربية غير المبرر على هذه الجرائم المستمرة ضدّ الشعب الفلسطيني الشقيق"، مطالباً مجلس الأمن والمجتمع الدولي "بوقف العدوان الإسرائيلي الذي يهدد الأمن والسلام في المنطقة"²⁵.

كما أكدت المستشارة الإعلامية للرئيس السوري بثينة شعبان "أن العدوان على غزة هو عدوان على سورية، وأن دمشق لم ولن تبخل في مساعدة المقاومة وتقديم العون لها، وقالت شعبان: "إن ما

²² الأخبار، 2014/7/26.

²³ السفير، 2014/9/10.

²⁴ السفير، 2014/7/17.

²⁵ السفير، 2014/7/9.



فعلته قيادة حماس في سورية لا يشغل بالنا بل فلسطين هي التي تبقى في بالنا، وإن ما يقلق دمشق هي الجرائم الإسرائيلية وهناك تخاذل من بعض الدول العربية...²⁶.

أما وزير الإعلام السوري فكان أكثر وضوحاً في الفصل بين موقف سورية من المقاومة ضد "إسرائيل" وبين الموقف من حماس، فقال: "إن غزة تتعرض لمؤامرة كبيرة... والدوحة وأنقرة تزودان الطائرات الإسرائيلية بالوقود"، وأكد أنه "لا تبديل في موقف سورية في ما يتعلق بمساندة الشعب الفلسطيني بغض النظر عن وجود حماس في غزة، أو إذا كانت تقود المعركة هناك"، وأضاف أن "كلّ من يشهر سلاحه ويدافع عن فلسطين والشعب الفلسطيني ضدّ العدو الإسرائيلي نقف إلى جانبه وندعمه"²⁷.

ماذا نستنتج من هذه النماذج من المواقف والتصريحات لقوى "محور الممانعة"؟

أولاً: إدانة هذه الحرب، وهي إدانة يشترك فيها هذا المحور مع معظم دول المنطقة وحتى مع كثير من دول العالم التي وقفت ضدّ هذا العدوان.

ثانياً: يختلف هذا المحور في مواقفه وتصريحاته عن الدول التي دانت العدوان في تأييده الواضح للمقاومة وفي دعواته إلى التمسك بها، وإلى استمرارها، وفي اعتبار النضال المسلح الحل الوحيد لزوال "إسرائيل".

ثالثاً: لقد تطابقت مواقف إيران (المرشد، والحرس، والخارجية، وفيلق القدس...) ومواقف حزب الله في التمسك بالمقاومة وفي اعتبارها طريق النصر، وفي تأكيد هزيمة "إسرائيل"، وفشل عدوانها... لكن حزب الله وعلى لسان أمينه العام ذهب إلى تفصيل الموقف أكثر من خلال دعوته إلى وضع كل الخلافات جانباً وإلى اعتبار معركة غزة معركة شعب وقضية، لأن المستهدف هو المقاومة وسلاحها وليس هذا الطرف أو ذاك. كما تعتمد الأمين العام لحزب الله التذكير بمواقف سورية التي دعمت المقاومة طوال السنوات الماضية... أما سورية فقد ربطت في مواقفها التي دانت العدوان، بين هذه الإدانة وبين الهجوم على دول الخليج "المسؤولة عن غالبية الهزائم التاريخية العربية"، وبين عدم تأثير موقفها السلبي من حماس على موقفها من اعتبار فلسطين قضية سورية المركزية. كما ربطت سورية بين ما يجري من عدوان على غزة وما يجري في سورية والعراق، "فهو سلسلة متكاملة مخططها إسرائيل والغرب، لكن منفذها كان دائماً دول القمع والاستبداد والتخلف...".

²⁶ السفير، 2014/7/18.

²⁷ موقع وطن يغرد خارج السرب، 2014/8/21.

ثالثاً: بين "محور المقاومة" و"الدول الداعمة للمقاومة":

في مقارنة بين مواقف محور المقاومة وبين مواقف "الدول الداعمة للمقاومة" والمقصود بها قطر وتركيا — كما جاء في برنامج المؤتمر — سوف نلاحظ بشكل واضح التشابه في هذه المواقف من إدانة العدوان والوحشية الإسرائيلية. لكن التباين بين المحورين يظهر في الموقف من المقاومة، فإدانة العدوان كما أشرنا كانت موقفاً مشتركاً لكثير من دول العالم وليس للدول الداعمة للمقاومة أو لمحور المقاومة فقط. لكن ما يهمنا هنا وفي التطلع إلى مستقبل المقاومة الفلسطينية بعد العدوان على غزة، هو الموقف من المقاومة الذي يفوق على مستوى التقدير الاستراتيجي أي إدانة للعدوان مهما بلغت مفردات هذه الإدانة ومصطلحاتها من قسوة.

ما يمكن الإشارة إليه هنا، أنه لم يصدر أيّ تصريح عن أيّ مسؤول تركي أو قطري يؤيد المقاومة أو يدعو إليها أو يعدّها الطريق لمواجهة الاحتلال، كما سيأتي تبيان ذلك لاحقاً. كانت المواقف التركية قاسية وعنيفة ضدّ المجازر الإسرائيلية، لكن التهديد التركي لـ"إسرائيل" إذا استمرت في هذا العدوان الوحشي" هو "عدم عودة العلاقات مع إسرائيل إلى سابق عهدها"؛ أي أن الوضع الطبيعي هو العلاقات بين البلدين لكن مع العدوان الوحشي فلا "علاقات طبيعية".

أما قطر التي دانت العدوان بدورها، فكانت كل مواقفها وتصريحاتها تتحدث عن إرسال المساعدات والأموال والوعود بإعادة إعمار غزة... أي أن المقاومة كفعل ميداني أو كاستراتيجية لمواجهة الاحتلال، لم تكن على الإطلاق في رؤية البلدين قضية ينبغي دعمها، أو إعلان التأييد لها أو الرهان عليها في المواجهة مع الاحتلال أو من أجل تحرير فلسطين.

وفي المقارنة بين مواقف "الدول الداعمة للمقاومة" وبين مواقف "محور الاعتدال" أو "محور التسوية" الذي يرئس حزب العمل الإسرائيلي إسحق هارتسوغ التحالف معه (الأردن، ومصر، والسعودية، ودول الخليج) للتضييق على المقاومة في فلسطين، لن نجد اختلافات جوهرية بين المحورين فيما يتعلق بقضية التسوية أو المفاوضات. بل سيكون هذا الاختلاف حول الموقف من الإخوان ومن حركة حماس بما هي، بالنسبة إلى هذه الدول، امتداد لحركة الإخوان المسلمين. أي أن سياسة "الدول الداعمة للمقاومة" (تركيا وقطر) تجاه قضية فلسطين هي أقرب إلى مواقف دول الاعتدال فيما يتعلق بخيار التسوية ودعم السلطة الفلسطينية وتأييد المفاوضات مع "إسرائيل"، كما سيقول ذلك صراحة أحمد داوود أوغلو.



1. المواقف التركية من العدوان:

دعت تركيا "إسرائيل" إلى الوقف الفوري لهجومها على قطاع غزة... وإلى التخلي عن سياسة العقاب الجماعي التي تتبعها²⁸. وفي محاولة لربط اهتمام تركيا بكل ما يجري في المنطقة بالحرب على غزة قال رئيس الوزراء التركي رجب طيب أردوغان إن "الشعب التركي لا يمكن أن يغلق على نفسه الأبواب ولا يهتم بالأمر الخارجي، ولا يمكن أن يدير ظهره لغزة، بلاد الشهداء والمظلومين... ولا يمكن أن يهمل قضايا سورية ومصر والعراق"²⁹.

وفي التعبير عن سقف التهديد الذي يمكن أن توجهه تركيا إلى "إسرائيل" قال أردوغان مخاطباً الإسرائيليين: "عليكم أن توقفوا هذا الظلم، (العدوان على غزة) وإلا فإنه لن يكون من قبيل الإمكان عودة العلاقات لطبيعتها بيننا وبينكم"³⁰. وفي خطاب آخر، يحذر أردوغان ننتياهو من أنه سيقى وحيداً، قائلاً له: "يا ننتياهو طالما ستواصل العدوان وإلقاء القنابل على قطاع غزة ستبقى وحيداً ولن تصبح صديقاً لتركيا يوماً من الأيام، طالما أنك تستخدم القوة المفرطة مع الأبرياء العزل والمظلومين في غزة، لن تتمكن إسرائيل من إعادة علاقاتها مع تركيا إلى سابق عهدها"³¹.

وبموازاة هذا التهديد لنتنياهو بأنه لن يصبح صديقاً لتركيا، شنّ أردوغان هجوماً على الحكومة المصرية التي "تريد استبعاد حماس من أي اتفاق سلام في غزة"³². وفي التقليل من شأن صواريخ حماس قال أردوغان: يتحججون بأن الصواريخ تطلق عليهم من فلسطين، وماذا ينتج عن هذه الصواريخ التي يتم تحجيرها في السماء ولم تتسبب بمقتل أي أحد حتى الآن... كل هذه الحجج هي خداع... وهم ليسوا صادقين³³. وقال أردوغان إن تركيا ستسعى من أجل محاكمة "إسرائيل" أمام محكمة دولية إذا واصلت حملتها على غزة³⁴.

أما أبرز ما يؤكد وجهة النظر التركية التي أشرنا إليها تجاه التسوية والمفاوضات فهو ما جاء في الخطة التي قدمها وزير الخارجية أحمد داوود أوغلو إلى منظمة التعاون الإسلامي لمواجهة الوضع في غزة ولزيادة المساعدات الإنسانية. ففي البند السابع طلب أوغلو أن "تبدل منظمة

²⁸ صحيفة الحياة الجديدة، رام الله، 2014/7/9.

²⁹ صحيفة القدس، القدس، 2014/7/10.

³⁰ رأي اليوم الإلكترونية، 2014/7/11.

³¹ صحيفة السبيل، عمان، 2014/7/14.

³² النهار، 2014/7/18.

³³ موقع الجزيرة.نت، 2014/7/19.

³⁴ وكالة رويترز للأخبار، 2014/7/24.

التعاون الإسلامي كل جهودها من أجل إعلان دولة فلسطينية مستقلة داخل حدود 1967، بموجب مبادرة الملك عبد الله في سنة 2002، وخطة السلام العربية³⁵. أي أن موقف تركيا واستراتيجيتها تجاه قضية فلسطين هو "مبادرة السلام العربية"، وليس استراتيجية المقاومة. أكدت تركيا من جهة ثانية على استعدادها إعادة إعمار غزة فقال أمر الله إيشلر، نائب أردوغان: "تركيا ستعيد إعمار غزة، وأن بلاده بصدد إقامة مساكن مسبقة الصنع في غزة لصالح من تهدمت بيوتهم في قطاع غزة...³⁶. كما أعلن وزير الطاقة والموارد الطبيعية طائر يلدر أنه يسعى لإرسال محطة توليد كهرباء عائمة إلى غزة بقوة 100 ميغاوات بعد الحصول على الأذونات اللازمة. وقال إن هذه هي أسرع طريقة لإمداد غزة بالكهرباء على المدى القصير لمدة شهرين أو ثلاثة³⁷.

2. مواقف قطر من العدوان:

نددت قطر مثل معظم الدول العربية والإسلامية بالعدوان على غزة، وطالبت بوقفه وبفك الحصار عن القطاع. ورأى وزير الخارجية القطري "أنه لم يعد مقبولاً أن تشن "إسرائيل" العدوان متى شاءت، داعياً المجتمع الدولي لتحمل مسؤوليته بوقف العدوان لما يمثله من تهديد للاستقرار في منطقة الشرق الأوسط والعالم أجمع³⁸.

أما على مستوى المساعدات فقد قدمت قطر مساعدة عاجلة بقيمة 32 مليون دولار، وقامت بإصلاح شبكات المياه في غزة، ورحبت باتفاق وقف النار وأعلنت استعدادها الكامل للإسهام في إعادة إعمار قطاع غزة بأسرع وقت ممكن³⁹. وأعلن أمير قطر أن "بلادها وضعت الترتيبات لإعادة إعمار ما دمرته الحرب الإسرائيلية على قطاع غزة"⁴⁰. وكذلك أعلن وزير الخارجية القطري "أن قطر تعهدت بضخ مليار دولار لإعادة إعمار غزة خلال السنوات المقبلة استجابة لطلب السلطة الفلسطينية والخطط التي قدمتها من أجل جمع أربعة مليارات دولار تعدُّ التكلفة الخاصة بإعادة الإعمار خلال الخمس سنوات المقبلة⁴¹.

³⁵ فلسطين أون لاين، 2014/8/12.

³⁶ الغد، 2014/8/14.

³⁷ صحيفة يني شفق، تركيا، 2014/8/19.

³⁸ صحيفة الشرق، الدوحة، 2014/7/21.

³⁹ صحيفة البيان، دبي، 2014/8/27.

⁴⁰ القدس العربي، 2014/9/1.

⁴¹ الشرق، 2014/10/13.



ماذا نستنتج من مواقف قطر وتركيا من العدوان وبعد وقف إطلاق النار؟

لقد أكدت تركيا على المستوى السياسي على مبادرة السلام العربية، في حين أبدت قطر استعدادها لإعادة إعمار غزة بعد الحرب — في أقرب وقت ممكن — ووضعت الترتيبات اللازمة لذلك، كما جاء في تصريحات أمير قطر والمسؤولين فيها. لكن بالرغم من تلك التعهدات كلها، فإن إعادة الإعمار لم تبدأ على الرغم من انقضاء أشهر على العدوان. وقد اضطر قادة المقاومة لرفع صوت التحذير والتهديد عالياً إذا استمرت المماطلة في إعادة الإعمار... .

رابعاً: الإعمار بعد الحرب:

انتهت جولة الحرب على غزة، وكان من المفترض أن تبدأ مرحلة إعادة إعمار ما دمرته آلة الحرب الإسرائيلية، خصوصاً أن ما نتج عن هذا العدوان من تدمير كان على الشكل التالي: أحصت مصادر وزارة الصحة الفلسطينية والمرصد الأورومتوسطي لحقوق الإنسان سقوط 2,174 شهيداً، بينهم 1,743 مدنياً (أي بنسبة 83%) و 340 مقاوماً (أي بنسبة 17%)، بينما بلغ عدد الجرحى 10,870 شخصاً. ودمرت قوات الاحتلال 17,132 منزلاً، وخمسة أبراج سكنية، كما تضرر 39,500 منزل آخر. وتمّ تدمير محطات الكهرباء، والمياه، والصرف الصحي، والمصانع، وعدد كبير من المساجد... وشكل العبء الإنساني عامل ضغط كبير على المقاومة، إذ إن نحو نصف مليون هجروا من منازلهم، كما حدث نقص فادح في الحاجات الطبية وتمّ تدمير البنية التحتية بشكل شامل⁴².

لكن القوى الدولية والإقليمية لم تتعامل مع إعادة الإعمار بما يتناسب مع حجم التدمير ومع حجم المعاناة ومع السرعة المطلوبة لمواجهة ذلك كله، بل اتسمت العملية بتباطؤ واضح، عبرت قيادات حماس عن الشكوى منه، حتى إن موسى أبو مرزوق عدّ أن هذا التأخير بمثابة ضغوط سياسية لإجبار حماس على التوجه للكيان الصهيوني⁴³.

فقد عقد في 2014/10/29 في القاهرة مؤتمر إعادة إعمار قطاع غزة بمشاركة عشرات الممثلين لدول وهيئات ومنظمات إقليمية ودولية، وموفدين من نحو خمسين بلداً بينهم وزراء خارجية نحو

⁴² معين الطاهر، "غزة: قراءة أولية للحرب"، مجلة الدراسات الفلسطينية، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، مجلد 25، العدد 100، خريف 2014 ص 8-9.

⁴³ موقع المسلم الإلكتروني، 2015/1/15، انظر: <http://www.almoslim.net/node/223352>

ثلاثين بلداً، والأمين العام للأمم المتحدة بان كي مون، وممثلي عدة هيئات إغاثية ومنظمات دولية أو سياسية، مثل صندوق النقد الدولي وجامعة الدول العربية، ونقلت وكالة الأناضول عن مسؤول فلسطيني قوله إن عدة دول عربية أكدت أنها ستعلن عن تخصيص نحو ملياري دولار في المؤتمر، وأعرب عن أمله بأن يحقق المؤتمر الهدف الذي عقد لأجله، وقال "نحن في أمس الحاجة إلى الأموال العربية والأجنبية في الوقت الحالي، لأن ما حدث في غزة من تدمير لم يحدث في أي حرب سابقة على القطاع".

وقدرت لجنة إعادة الإعمار برئاسة محمد مصطفى، وزير الاقتصاد الوطني الفلسطيني، أن خطة إعادة الإعمار تحتاج إلى نحو أربعة مليارات دولار. وتستهدف الخطة التي ستستمر ثلاث سنوات، مساعدات إغاثية وإنسانية عاجلة، وإعادة بناء البنية التحتية، وإعادة النهوض بالقطاع الاقتصادي، ممثلاً بالزراعة والصناعة والتجارة والتشغيل وتشجيع الاستثمار... لكن مخاوف حماس عبر عنها قبل المؤتمر إسماعيل هنية، نائب رئيس المكتب السياسي لحركة المقاومة الإسلامية (حماس)، بالقول: "إن الفلسطينيين يتطلعون لأن يكون مؤتمر اليوم مختلفاً عن سابقه، لأن الأموال التي رصدت في المؤتمرين السابقين لإعمار غزة (بعد حربي 2008 و2011) لم يصل منها أي شيء إلى القطاع، وهو ما يتطلب وقفة حقيقية من المجتمع الدولي لتحمل مسؤولياته..."⁴⁴.

إذاً لم يبادر أحد من القوى الإقليمية والدولية إلى إعادة الإعمار وفق الوعود والتعهدات التي أطلقت بعد نهاية العدوان. فقد تم ربط إعادة الإعمار بالأمم المتحدة التي لم تفعل شيئاً حتى بعد انقضاء أشهر على وقف الحرب. كما أن الدول التي وعدت بإعادة الإعمار لم تقم بإرسال الأموال، ولم تمارس الضغوط للبدء بإعادة الإعمار، بل باتت غزة أمام "حصار صهيوني"، وقد أُضيف إليه حصار مندوب أمين عام الأمم المتحدة السيد روبرت سري الذي وضع برنامجاً للإعمار ولدخول مواد الإعمار، تضمن شروطاً أسوأ من التي يمكن لتنتيا هو أن يفكر فيها، بحيث بات الوضع في قطاع غزة لا يُطاق⁴⁵. كما انتقد عضو المكتب السياسي لحركة حماس خليل الحية الأمم المتحدة لتباطؤها في إعادة الإعمار ولعدم فكّ الحصار عن غزة⁴⁶، ودعت اللجنة الشعبية لرفع الحصار عن قطاع غزة، لعدم وجود "أي آلية حقيقية وفعلية"، لإدخال مواد البناء إلى غزة، بهدف إعادة إعمار ما خلفته الحرب الإسرائيلية الأخيرة. وأكدت اللجنة أن الوضع في قطاع غزة على حاله، منذ انتهاء الحرب

⁴⁴ الجزيرة.نت، 2014/10/12.

⁴⁵ منير شفيق، "السكوت عن حصار غزة لماذا؟"، مجلة موازين، منتدى الإسلام والحداثة، بيروت، 2014/12/20.

⁴⁶ السفير، 2014/10/23.



الإسرائيلية الأخيرة، وأنه لم يتم "بناء غرفة واحدة، أو تشغيل مصنع جديد". وعلى الرغم من تعهد دول بمليارات الدولارات، لإعادة إعمار غزة بعد انتهاء الحرب الإسرائيلية، لكن أغلبها لم يصل ليدخل القطاع بتحذيرات الأمم المتحدة من صعوبة الحصول على الأموال لإعادة الإعمار⁴⁷.

وقد تجمع آلاف الفلسطينيين في خمس مسيرات مركزية دعت إليها الفصائل الإسلامية والوطنية في قطاع غزة، للمطالبة "بكسر الحصار وإعادة الإعمار"... وأعلن وزير العمل في حكومة التوافق، مأمون أبو شهلا، "أن قطر أجلت دفع المنحة المالية التي كان من المقرر صرفها للموظفين، وهذا ما عرقل دفع الأموال لموظفي غزة، فضلاً عن أنها لم تف بوعدها بتشغيل آلاف الفلسطينيين لديها.

أما سبب تعثر إعادة الإعمار فيكشف عنه وزير الخارجية المصري، سامح شكري، الذي قال إن التعهدات المالية لم يتم الالتزام بها "نظراً إلى عدم الثقة من المجتمع الدولي بسبب تعثر المفاوضات غير المباشرة بين الجانبين الفلسطيني والإسرائيلي". أي أن ما يريده المجتمع الدولي، ربط الإعمار بممارسة الضغوط حتى على السلطة الفلسطينية للعودة إلى التفاوض مع الإسرائيليين⁴⁸. لذا حذر القيادي في "حركة الجهاد الإسلامي"، خالد البطش، من أن "الأوضاع في غزة لن تبقى كما هي، ولن نسمح بأن يبقى أهلنا في العراء". وأضاف: "نحذر مما قد يأتي إذا بقي الوضع كما هو عليه"، داعياً إلى الالتزام باتفاقية القاهرة حول التهدئة وفتح المعابر وإعادة الإعمار⁴⁹.

إذاً لم تتم إعادة الإعمار بالسرعة المطلوبة، ولم تنفذ "الترتيبات اللازمة" لإعادة الإعمار، ولم تتحرك القوى الإقليمية والدولية لتسريع هذا الإعمار وإعادة الناس إلى بيوتهم؛ بل بقي الإعمار ورقة في يد الأمم المتحدة. في حين أن إيران بعد عدوان تموز/ يوليو 2006 على لبنان، قدمت إلى حزب الله دعماً مالياً مباشراً لإيواء المهجرين الذين دمرت بيوتهم في الضاحية الجنوبية، كما تكفلت في الوقت نفسه بإعادة إعمار كل الوحدات السكنية التي دمرت.

خامساً: محور الممانعة مجدداً:

لم تنقطع علاقات حماس مع أطراف محور المقاومة خصوصاً مع إيران وحزب الله. لكن هذه العلاقة انقطعت مع سورية. وإذا كانت متغيرات الوضع العربي أسهمت في تصدع هذه العلاقات، خصوصاً ما جرى في سورية وما جرى في مصر، كما سبق وأشرنا، فإن العدوان على غزة والإنجاز

⁴⁷ موقع سكاي نيوز عربية، أبو ظبي، 28/12/2014.

⁴⁸ الأخبار، 29/12/2014.

⁴⁹ الاخبار، 29/12/2014.

الذي حققته المقاومة في هذه المواجهة، والحصار الذي تتعرض له غزة، وتأخير إعادة الإعمار بعد العدوان... سوف يدفع أطراف هذا المحور إلى ترميم ما تصدع وإلى تسريع عودة الحرارة إلى العلاقات بين حماس وإيران، وهذا ما سيعبر عنه بشكل واضح نائب رئيس المكتب السياسي لحركة المقاومة الإسلامية (حماس) موسى أبو مرزوق، بقوله إن الحركة وإيران "أصلحتنا العلاقات السياسية والعسكرية"، وقال أبو مرزوق: "أعتقد أنه في الفترة الأخيرة تم وضع القطر على السكة في العلاقات الثنائية بيننا وبين الجمهورية الإسلامية". وعندما يشير أبو مرزوق إلى استعادة العلاقات على المستوى العسكري أيضاً، فهذا يعني أن الاستعداد للجولة المقبلة من الحرب وتعزيز قدرات حركة حماس يحتاج إلى هذا المستوى العسكري، أكثر بكثير من المستوى السياسي مع إيران. وهذا يفسر لماذا كان المتحدث باسم كتائب القسام "أبو عبيدة" هو الذي يوجه الشكر إلى إيران، وهو يشدد على إعادة إعمار ما دمرته الحرب الإسرائيلية، محذراً من "نفاذ الصبر" على هذا التأخير الذي أشرنا إليه. وفي تأكيد على ما قدمته إيران إلى المقاومة "من مال وسلاح وأمور أخرى"، وعلى عودة الحرارة إلى العلاقة معها قال أبو عبيدة: "جمهورية إيران الإسلامية أمدتنا بالصواريخ التي دكت المحتل في صولات وجولات مضت، ودعمتنا بالصواريخ النوعية المضادة للدبابات التي حطمت أسطورة الميركافا". ولم يستثن أبو عبيدة من شكره قطر وتركيا على "الدعم السياسي".

وعندما تؤكد حماس أنها ستبذل كل ما في وسعها لتفعيل المقاومة في فلسطين، وبالأخص "في الضفة والقدس"، وأن حماس ستقفل، مع بقية الفصائل، المقاومة في كل فلسطين، وفي قلب القدس والضفة⁵⁰، ندرك مدى الحاجة لاستعادة هذه العلاقة مع إيران على المستويات كافة السياسية والعسكرية... .

لقد حققت المقاومة في غزة انجازاً استراتيجياً في صمودها، وفي منع العدو من تحقيق أهدافه، لكن الإنجاز الذي لا يقل أهمية على المستوى الاستراتيجي لهذه الحرب على غزة، هو في طي صفحة الخلاف بين أطراف محور المقاومة، وفي استعادة حرارة العلاقات خصوصاً بين حماس وإيران، لأن ما لا يمكن لأطراف محور المقاومة تجاهله، ولا حتى لـ"إسرائيل"، أن الإنجازات التي تحققت طوال السنوات الماضية في المواجهة مع "إسرائيل" كانت ثمرة التعاون الوثيق بين أطراف محور المقاومة على المستويات كافة.

⁵⁰ الأخبار، 2014/12/15.



Paper

**The Stance of Iran and the
“Refusal Front” Towards
the Palestinian Resistance**

Prof. Talal Atrissi

